الصدق وآثاره الحميدة

فضيلة الشيخ العلامة
أ.د. ربيع بن هادي عمير المدخلي
رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقًا

الميراث النبوي للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١].

أما بعد: فإن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

مرحبًا بكم أيُّها الإخوة في هذا اللقاء الطيب الذي نرجو من الله -تبارك وتعالىٰ- أن يجعله لقاءً مباركًا طيِّبًا نافعًا، وأن يجعلنا فيه وفي غيره من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، والحديث في هذا اللقاء سيكون عن الصدق كما سمعتم من كلام الأخ المقدِّم، عن الصدق؛ أثره، وثمرته، وإن اتسع الوقت في الحديث تحدَّثنا عما يضاده من الكذب وثماره الوخيمة، وإلا فنرجو أن نستفيد مما نسمع من الحديث حول الصدق.

الصدق قامت عليه الرسالات كلُّها؛ فالله -تبارك وتعالىٰ- يصطفي من الملائكة ومن الناس خيارهم، يصطفي من الأمم ومن الشعوب والقبائل أنقاهم أنسابًا وأشرفهم نسبًا؛ لأن هذه المعادن الطيبة تكون تصلح لحمل الرسالات، هذه المعادن الطيبة التي يختار الله منها الرسل هم أولىٰ الناس عند الله -تبارك وتعالىٰ- لتَحَمُّلِ الرسالات وتبليغها بأمانة، فالرسالات قامت علىٰ خيار الناس وأفضلهم خصالًا، وعلىٰ رأس قائمة تلك الخصال النبيلة الصدق، فالأنبياء

-عليهم الصلاة والسلام- كلُّهم صادقون؛ شهد الله لهم بالصدق، وشهد بعضهم لبعض بالصدق، وكلهم كل متأخر يُصَدِّقُ من سبقه، ويؤيد ما جاء به من الحق من عند الله -تبارك وتعالىٰ-، وسيأتي الكلام علىٰ أن الله وصف نفسه بالصدق في آيات، وكذلك وصف الأنبياء، ووصف المؤمنين؛ لكن هذه مقدمة.

الدين ما قام إلا علىٰ كواهل المؤمنين الصادقين الأمناء علىٰ دين الله؛ فالذي يفقد هذه الصِّفة لا يؤتمن علىٰ أحقر الأشياء من دنيا الناس، فضلًا عن دين الله -تبارك وتعالىٰ-[1].

وخير من قام بهذا بل من فرض القيام بهذا؛ بالحفظ علىٰ الدِّين، وتداوله بين الأمناء الصادقين، وغربلة حملة العلم وطلاَّبه ليصلوا إلىٰ الأمناء الصادقين الضابطين؛ الذي قام

---

(١) قال النبيُّ ﷺ في رده علىٰ اعتراض الخارجي علىٰ قسمته ﷺ: «**أَيَأْمَنُنِي اللهُ عَلَىٰ أَهْلِ الأَرْضِ وَلا تَأْمَنُونِي؟**». البخاري: برقم (٣٣٤٤)، ومسلم: برقم (١٠٦٤)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

بهذا هم أهل الحديث وهم المرجع لكل الفِرَق؛ فالفقهاء والأصوليون والمؤرخون كلهم يرجعون إلىٰ ما وضعه أئمةُ الحديث من منهجٍ عظيم، قام علىٰ صفاتٍ عظيمة في طليعتها الصِّدق، فدين الله -تبارك وتعالىٰ- قرآنًا وسنة وما استُنبِط منهما من أحكام إنما تَلَقَّتْهُ أيْدٍ نظيفة وألسنةٌ نظيفة عن أيْدٍ وألسنة نظيفة صادقة، بعيدةٍ كلَّ البعد عن أدناس الكذب والتلبيس والتدليس.

فالصِّدق صفة عظيمة؛ كما أشرت، الله -تبارك وتعالىٰ- وصف نفسَه بها ﷻ، ووصف أنبياءه، ووصف به خيارَ الناس المؤمنين الصادقين.

فيجب علىٰ المسلم شابًّا كان أو شيخًا ذكرًا كان أو أنثىٰ أن يتحلَّىٰ بهذه الصفة العظيمة؛ التي لا قوام للدين ولا للدنيا إلا بها، فالكذب يهدم الأمة، ويهدم الدين، ويهدم الأخلاق، ويهدم السياسة والاقتصاد، والصدق يقوم عليه الدين، وتقوم عليه دنيا الناس، ويسعد الناس في ظِلال الصدق، ويشقىٰ الناس غاية الشقاء في الدنيا والآخرة بالكذب والأكاذيب.

فالله كما قلنا وصف نفسَه في آيات كثيرة بالصِّدق؛ نذكر منها ما يتيسر:

ومنها: قول الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢].

ومنها: ما سمعتم في هذا الحديث: «**إِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلامُ اللهِ**»[1]؛ لأن مصدره الله الصادق ﷻ.

ويقول ﷻ: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ﴾ صدق الله وعده ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٢] إلىٰ آخر الآية.

ويقول: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ [الفتح: ٢٧]، إذ رؤيا الأنبياء حق، هي وحي من

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٣١٠، برقم ١٤٣٧٣)، ومسلم: برقم (٨٦٧)، والنسائي برقم (١٥٧٨)، وابن خزيمة في صحيحه (٣/ ١٤٣، برقم ١٧٨٥)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

الله -تبارك وتعالىٰ-[1]، ووحي الله لا يكون إلا حقًّا وصدقًا.

ويقول الله -تبارك وتعالىٰ- في نصره للأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-: ﴿ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ﴾ [الأنبياء: ٩] الوعد بالنصر وإهلاك أعدائه الكاذبين المكذِّبين لرسالات الصدق من عند الله ﷻ.

ووصف الأنبياء بالصدق: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٤١] يعني الصِّديق وصف وصيغة مبالغة من الصدق، ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [سورة مريم: ٥٤-٥٧].

---

(١) روىٰ البخاري في صحيحه برقم (١٣٨) عن عبيد بن عمير قال: إِنَّ رُؤْيَا الأَنْبِيَاءِ وَحْيٌ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ﴾.
وروىٰ ابن أبي عاصم في السنة -بظلال الجنة- (١/ ٢١٣، برقم ٤٦٣)، وابن جرير الطبري في التفسير (١٥/ ٥٥٤، برقم ١٨٧٧٨ و١٨٧٧٩)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٦٨، برقم ٣٦١٣) و(٤/ ٤٣٨، برقم ٨١٩٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كانت رؤيا الأنبياء وحيًا».

ووصف جميع الأنبياء بالصدق حينما يبعث الله الخلق: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢] ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ علىٰ ألسنة الرسل، و﴿وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ فإنهم تلقَّوا هذا الصدق من الله وهذا الوعد الصادق من الله -تبارك وتعالىٰ-، وبلَّغوا الناس هذا الصدق، فيأتي المؤمنون يوم القيامة حينما يتساءل الكفار حينما يبعثهم الله -تبارك وتعالىٰ- بعد نفخة البعث: ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا﴾ أجابهم المؤمنون: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢] يقال: إن هذا جواب المؤمنين عليهم[1]، ويقال: بل هذا جوابهم علىٰ أنفسهم[2]، يعني لما شاهدوا الحقيقة قالوا: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ

---

(1) وهو قول مجاهد وقتادة وعبد الرحمن بن أبي ليلىٰ. انظر: تفسير عبد الرزاق (٣/ ١٤٥)، وتفسير ابن جرير (٢٠/ ٥٣٣)، والدر المنثور للسيوطي (٧/ ٦٣)، واختاره ابن جرير في تفسيره (٢٠/ ٥٣٣)، وقال ابن كثير: «هو أصح». تفسير القرآن العظيم (٦/ ٥٨٢). ورجحه العلامة الشنقيطي في أضواء البيان (٦/ ١٧٦).

(2) وهو قول عبد الرحمن بن زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ. تفسير ابن جرير (٢٠/ ٥٣٢).

﴿وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢] يحتمل هذا وهذا.

ووصف المؤمنين بالصِّدق: وصف المؤمنين من أتباع محمد ﷺ: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣] الذي جاء بالصدق رسول الله ﷺ، والذين صدَّقوه واتبعوه هم المؤمنون أتباعه[1] ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ يعني: والذين صدَّقوا به ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة الزمر: ٣٣-٣٤]، ويأتي في رأس القائمة في هذا الإحسان صِدْقُهُم وتصديقهم للرسل الكرام -عليهم الصلاة والسلام-.

وقال الله -تبارك وتعالىٰ- في وصف المهاجرين سادةِ هذه الأمة: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ

---

(١) وهو قول قتادة ومقاتل وابن زيد، انظر: تفسير عبد الرزاق (٣/ ١٧٢)، وتفسير الطبري (٢١/ ٢٩٠)، وتفسير البغوي (٧/ ١٢٠)، والدر المنثور للسيوطي (٧/ ٢٢٨).

هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشر: ٨]؛ صادقون في أقوالهم، وفي فعالهم، صَدَّقُوا دعوىٰ الإيمان، وقولهم: آمنا بتطبيق الإسلام والصبر علىٰ الأذىٰ في سبيله، فأُخْرِجُوا من ديارهم من أجل هذا الدِّين، وأوذوا في سبيل الله، وأُخْرِجُوا من ديارهم وأموالهم، خرجوا يبتغون فضلًا من الله ورضوانًا، شهد الله لهم بهذا، وزَكَّاهُم بأنهم هم الصادقون في أقوالهم وفي أفعالهم.

وشهد الله -تبارك وتعالىٰ- لأهل بئر معونة؛ سبعون من القرَّاء كانوا يقومون الليل، وفي النهار يحتطبون ويتصدقون بما يحصلون عليه ممّا يبيعونه من الحطب يتصدقون به، فكانوا من خيار الناس، وبعثهم رسول الله في سرية إما لتعليم الناس، وإما لنصرة بعض أحلاف الرسول الكريم -عليه الصلاة والسلام- فغدر بهم قوم من المشركين، فأنزل الله -تبارك وتعالىٰ- فيهم: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣]، ﴿صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ﴾ صدق فِعال وصدق أقوال رضي الله عنهم.

وقال الله -تبارك وتعالىٰ- لمّا قال الأعراب آمنا: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤]، ثم قال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥] صِدق الأقوال وصِدق الأفعال، لأنَّ الإنسان يقول ويقول ولا يفعل، يقول الله ﷻ: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣]، قال بعض الناس: والله لو فرض الجهاد لجاهدنا، وبعد ذلك تردد بعضهم؛ قال الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾[1] [الصف: ٢-٤]، يعني هذه الأفعال التي يحب أن تُصَدِّقُوا بها الأقوال؛ وإلا فكَبُر مقتًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون.

والله -تبارك وتعالىٰ- وصف المؤمنين الأبرار بصفات

---

(1) وهو مروي عن ابن عباس ومجاهد وأبي صالح، انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٢٣/ ٣٥٤).

عظيمة، ثم تَوَّجَهَا بالشهادة لهم بالتقوىٰ والصدق؛ فقال الله - تبارك وتعالىٰ -: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧] فزكَّاهم الله، وشهد لهم بالصدق في الأقوال، والصدق في الاعتقاد، والصدق في الأعمال، فاستوفوا أركان الإيمان: اعتقادًا صادقًا في قلوبهم، وإيمانًا خالصًا صادقًا في أعماق هذه القلوب، وطبَّقوا ذلك بجوارحهم من صلاة وزكاة وصدقة ... إلىٰ آخره، وأكَّدُوا ذلك بالصبر علىٰ اختلاف الأحوال: في السَّراء والضراء، وفي الشدة والرخاء، فهؤلاء هم الصادقون، هم الصادقون وهم أهل التقوىٰ.

فلابدَّ في المؤمن أن يكون صادقَ المقال، صادقَ الفعال،

تُطابق أقوالُه أفعالَه، لا يتناقض ولا يُكَذِّب فعلُه قولَه، ولا قولُه فعلَه؛ هذا المؤمن الصادق، المؤمنون الصادقون الذين يحبهم الله.

من هذه الأنواع الذين وصفهم الله -تبارك وتعالىٰ- في هذه الآيات كلِّها التي تلوناها عليكم، فالله صادق، وملائكته صادقون، ورسله وأنبياؤه صادقون، وأتباع هؤلاء الأنبياء يجب أن يتَّخِذوا من الأنبياء قدوةً وأسوة في الأخلاق كلِّها، وفي الأعمال كلِّها، وفي العقائد كلِّها، وعلىٰ رأس هذه الصدق، ولا قيمة لكل الأعمال إذا خَلَت من هذه الصفة العظيمة.

وكما أشرنا سابقًا فإن دنيا الناس ودينهم يَفْسُدان بالأخلاق الرذيلة؛ وأقبحها وأشنعها الكذب؛ الذي يجب أن يحذره كلُّ المسلمين، وأن يكونوا صادقين كما أراد الله -تبارك وتعالىٰ- لهم شرعًا ﷻ، فالله يطالبنا شرعًا ويأمرنا ويكلِّفنا بأن نكون مع الصادقين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

والله -تبارك وتعالىٰ- تحدَّث عن جزاء الصادقين، وعن ثمرات الصدق، وآثارها الطيبة في نفوس الصادقين فإذا تجمع صادق وصادق وصادق كان المجتمع مجتمعًا طاهرًا خيِّرًا، يصلح لحمل هذه الرسالة وتبليغها إلىٰ الناس.

ولقد بلَّغ هذا الدين أصدق الناس وهم أصحاب محمد -عليه الصلاة والسلام- الذين ما عُرِفَ ولا كان ولا يكون مثلهم بعد الأنبياء والرسل -عليهم الصلاة والسلام-، فلم يُعرَف عن صحابيٍّ كذب علىٰ رسول الله ﷺ، لم يُعرَف الكذب عن أحد منهم أبدًا -رضوان الله عليهم-.

قال ابن الوزير في «الروض الباسم» -وهو يدافع عن معاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهما، وقد طعن فيهما بعض الشيعة- فَسَاقَ لأحاديثهم التي روَوْها من الشواهد ما يدلُّ علىٰ أنهم تسنَّموا قمة الصدق ثم قال: «ولو كان معاوية يكذب لروىٰ عن نفسه وعن عشيرته أحاديث، ولكن لم يؤثر عنه حديث في فضل نفسه، ولا في فضل عشيرته»[1] يعني

(١) انظر: الروض الباسم (٢/ ١١٤-١١٩).

أسرته، واللهُ زكَّاهم في آياتٍ كثيرة؛ ومنها قول الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الحديد: ١٠]، كلُّهم أهّلهم الله للجنة مما أهلهم لهذا الوعد العظيم أن يدخلهم الله جميعًا الحسنىٰ أنهم مستحقون لهذا الوعد بجدارة بصفاتهم النبيلة، وتضحياتهم الكبيرة بالنفس والنفيس في رفع راية الإسلام، وتبليغ دين الله تبارك وتعالىٰ وتبليغه إلىٰ سائر الأمم والشعوب -رضوان الله عليهم-، فهم كما قال شيخ الإسلام ابنُ تيمية: «**ما كان ولا يكون مثلهم**»[1]؛ فَتَبًّا وسُحْقًا لمن ينتقِص أحدًا منهم، ويجب علىٰ المسلمين جميعًا أن يوقرُّوهم وأن يحترموهم، والصادق الذي يحترم الرسول ﷺ ويؤمن به ويصدِّقه يحترم هؤلاء تلاميذَه وأسرتَه وأصحابَه -عليه الصلاة والسلام-[2].

---

(1) العقيدة الواسطية (٣/ ١٥٦- مجموع الفتاوىٰ).

(2) قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصارم المسلول علىٰ شاتم الرسول» (١/ ٥٨١- ابن حزم، ط١) في الذين يطعنون في الصحابة -رضوان عليهم-: «قال مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إنما هؤلاء قوم أرادوا القدح في النبيِّ -عليه =

وإذا رأيت المرءَ لا يحترم أصحاب رسول الله فَقُل: تَبًّا وسُحْقًا لك، هؤلاء الصادقون -رضي الله عنهم- لهم صفات عظيمة إلىٰ جانب هذا الصدق رضوان الله عليهم، فيستحقون منَّا كلَّ حب، وكلَّ تقدير، وكلَّ احترام، ويجب أن نَذُبَّ عنهم، وعن أعراضهم بالنفس والنفيس رضوان الله عليهم، ثم تلاهم القرون المفضَّلة الذين تلقَّوا منهم الصدق، وتلقَّوا منهم الدين: «**خَيرُ النَّاسِ قَرْني ثُمَّ الذينَ يَلُونَهُم ثُمَّ الذينَ يَلُونَهُم ثُمَّ يَأْتي بَعْدَهُم قَوْمٌ يَشْهَدُون ولا يُسْتَشْهَدُون**» يعني كذابين يسهل عليهم الكذب، « **وَيَنْذُرُونَ وَلَا يُوفُونَ**»؛ كذابون

الصلاة والسلام- فلم يمكنهم ذلك، فقدحوا في أصحابه حتىٰ يقال: رجل سوء، ولو كان رجلاً صالحًا لكان أصحابه صالحين)، أو كما قال؛ وذلك أنه ما منهم رجل إلا كان ينصر الله ورسوله ويذب عن رسول الله بنفسه وماله، ويعينه علىٰ إظهار دين الله وإعلاء كلمة الله وتبليغ رسالات الله وقت الحاجة وهو حينئذ لم يستقر أمره ولم تنتشر دعوته ولم تطمئن قلوب أكثر الناس بدينه، ومعلوم أن رجلاً لو عمل به بعض الناس نحو هذا، ثم آذاه أحد لغضب له صاحبه وعدَّ ذلك أذىٰ له».

يكذبون على الله تبارك وتعالى، « وَيَظْهَرُ فِيهِمُ اَلسِّمَنُ »[1]، إلا طائفة منصورة التي زكاها الرسول -عليه الصلاة والسلام-: **«لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي وعد الله تبارك وتعالى»**[2].

فهم يتسلمون هذا الدين وهذا الحق من جيل إلى جيل، لكن أفضل هذه الأجيال الذين تربَّوا على يد محمد ﷺ سيد الصادقين الأمناء الذي وُصِفَ في الجاهلية قبل الإسلام بالصادق الأمين -عليه الصلاة والسلام-[3].

---

(1) أخرجه البخاري: برقم (٣٦٥٠)، ومسلم: برقم (٢٥٣٥)، من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما.

(2) رواه البخاري برقم (٣٦٤١)، ومسلم برقم (١٠٣٧)، من حديث معاوية رضي الله عنه.

ورواه مسلم برقم (١٩٢٠)، من حديث ثوبان رضي الله عنه.

(3) كما جاء في قصة وضع الحجر الأسود لما جددت قريش بناء البيت، واختلفوا فيمن يرفع الحجر فيضعه في مكانه، فعن عبد الله بن السائب رضي الله عنه قال: إن قريشًا اختلفوا في الحجر حين أرادوا أن يضعوه حتى كاد أن يكون بينهم قتال بالسيوف، فقال: اجعلوا بينكم أوَّل رجل يدخل من الباب، فدخل رسول الله ﷺ فقالوا: هذا الأمين، وكانوا يسمونه في =

ثم هؤلاء البررة الكرام الذين ربَّاهم -عليه الصلاة والسلام- علىٰ أكرم الخصال وأنبلها وأفضلها: منها الشجاعة، ومنها الجود، ومنها الصدق، ومنها ومنها ...، وتلقىٰ الجيل الثاني القرن الثاني منهم هذه الخصائص وهذه المزايا، فكانوا بعدهم وتلوهم في الفضيلة والنبل والخيرية، وتلاهم الجيل الثالث.

وورد في الحديث: « **يَأْتِي عَلَىٰ النَّاسِ زَمَانٌ يُبْعَثُ مِنْهُمْ الْبَعْثُ فَيَقُولُونَ انْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ فِيكُمْ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُوجَدُ الرَّجُلُ فَيُفْتَحُ لَهُمْ بِهِ**»؛ ينتصرون بوجود هذا الصحابي الذي تربىٰ علىٰ يد محمد ﷺ، وشرَّفه

= الجاهلية الأمين، فقالوا: يا محمد قد رضينا بك، فدعا بثوب فبسطه ووضع الحجر فيه، ثم قال لهذا البطن ولهذا البطن غير أنه سمىٰ بطونًا: ليأخذ كل بطن منكم بناحية من الثوب، ففعلوا، ثم رفعوه، وأخذه رسول الله ﷺ فوضعه بيده». رواه الحاكم في المستدرك (١/ ٦٢٨، برقم ١٦٨٣)، وقال: « هذا حديث صحيح علىٰ شرط مسلم».

هذا حديث صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه و له شاهد صحيح علىٰ شرطه.

الله بصحبته ورؤيته، وتلقي الأخلاق والدين من هذا الرسول الكريم -عليه الصلاة والسلام-، «ثُمَّ يُبْعَثُ الْبَعْثُ الثَّانِي فَيَقُولُونَ هَلْ فِيهِمْ مَنْ رَأَىٰ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُفْتَحُ لَهُمْ بِهِ ثُمَّ يُبْعَثُ الْبَعْثُ الثَّالِثُ فَيُقَالُ انْظُرُوا هَلْ تَرَوْنَ فِيهِمْ مَنْ رَأَىٰ مَنْ رَأَىٰ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ يَكُونُ الْبَعْثُ الرَّابِعُ فَيُقَالُ انْظُرُوا هَلْ تَرَوْنَ فِيهِمْ أَحَدًا رَأَىٰ مَنْ رَأَىٰ أَحَدًا رَأَىٰ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُوجَدُ الرَّجُلُ فَيُفْتَحُ لَهُمْ بِهِ»[1].

هذا كله من بركات الإسلام، وبركات التربية عليه وتطبيقه والتزامه ونشره؛ فيجب أن نجعل من هذه القرون الفاضلة المشرِّفة الخيِّرة التي شهد لها رسول الله ﷺ أن نأخذ منهم أسوة وقدوة في العقائد، وفي العبادات، وفي الأخلاق، وفي الأعمال، وفي الصدق الذي هو الركيزة الأساسية لكل هذه الأخلاق والمحور الأساسي لهذه الأخلاق، ويا ويل مجتمع

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٦٤٩)، ومسلم برقم (٢٥٣٢)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

يا ويل مجتمع يخلو من هذه الأخلاق! وخاصة الصدق! يا ويل هذه الأمة إن خلت من الصادقين -مع الأسف!- أو قل الصدق فيها! ماذا تنتظر؟! كل ما نراه نزل بالأمة والله من الكذب؛ كذب في الدين، كذب علىٰ الله، كذب علىٰ المسلمين؛ تضييع الناس، وسيأتي إذا فرغنا من هذا الفصل الأول من هذه الكلمة .

وعد الله الصادقين وعودًا عظيمة: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة: ١١٩] حينما يبعث الله تبارك وتعالىٰ الخلق؛ انظر كل الخصال ما ذكر منها إلا الصدق؛ لأنها تابعة لهذا الخُلُق العظيم، يعني يدخلون الجنة ويستحقون الوعد الصادق من الله الصادق الذي لا يخلف وعده: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾[1] ﷻ، ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩] رضي الله عنهم نفعهم الصدق.

---

(١) (آل عمران: ٩).

أين الكذَّابون؟ أين هم؟ والعياذ بالله! نسأل الله العافية!

إذن إن أردت أن تكون من أهل هذا الوعد العظيم بدخول جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين؛ فعليك بالصدق.

والله لا يُحفظ هذا الدين إلا بالصادقين، ما يُحفظ بالكذَّابين والملبِّسين والدجاجلة المشعوذين! إنما يُحفظ بالصَّادقين.

والصدق يُعرف أهلُه؛ يُعرفون من أقوالهم، من أفعالهم، من كتاباتهم، من مجالستهم يُعرف ويَتميز؛ يتميز الذهب الخالص من المُزَيَّف، والمعادن الخالصة من الزيف، إذا كان هناك نُقَّاد صيارفة يميِّزون بين الزيف وبين ما يصح، ولكن مع الأسف كلّتِ البصائر والأبصار، وقلَّ وجود هؤلاء الصيارفة، وأصبحنا نعيش في مجتمع وفي زمان حدثنا عنه الصادق المصدوق -عليه الصلاة والسلام-: «**سَيَأْتِي زَمَانٌ يُصَدَّقُ فِيه الكَاذِب وَيُكَذَّب فِيه الصَّادِق وَيُخَوَّن فِيه الأَمِين**

وَيُؤْتَمَن الخَائِن»[1]. كم من كاذبٍ خائن يُصَدَّق!! وكم من صادقٍ أمين علىٰ دين الله وناصح للأمة يُكَذَّب!! هذا يدل علىٰ انحطاطٍ رهيب، يجب أن ترتفع عنه هذه الأمة، كما يقول الشاعر:

وإنَّما الأُمَمُ الأخلاقُ ما بَقِيَت

فإن هُمُ ذهبت أخلاقُهم ذهبوا

أيُّ قيمة في دعوات تقام علىٰ الكذب والتلبيس؟! بل أيُّ بلاءٍ وأيُّ دمار يواجه الإسلام والمسلمين من أناسٍ فقدُوا الصِّدق وتحلَّوا بالكذب والتلبيس؟!

فيا أيها العقلاء! عليكم بالصدق، وكونوا كما أمركم الله:

---

(١) أخرجه: أحمد (٢/ ٢٩١، برقم ٧٨٩٩)، وابن ماجه برقم (٤٠٣٦)، والحاكم (٤/ ٥١٢، برقم ٨٤٣٩). وأخرجه أحمد (٢/ ٣٣٨، برقم ٨٤٤٠)، من رواية أبي هريرة رضي الله عنه.

وأخرجه أبو يعلىٰ (٦/ ٣٧٨، برقم ٣٧١٥)، والبزار برقم (٢٧٤٠)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١/ ٤٠٤-٤٠٥)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[1] في الحق لا تعصُّبًا وجهلًا، وعواطف عمياء، وإنما انضمامًا مع الصادقين، ورفعًا لراية الحق والصدق، ونشرًا لراية الحق والصدق.

فلقد نال الكذب من الأمة منالًا عظيمًا، وبلغ أيَّ مبلغ في أخلاقها، وفي عقائدها، وفي حياتها مع الأسف الشديد! وهناك أناس كما قال الله تعالىٰ: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ [المائدة: ٧٩]، فيجب أن ننكر هذا المنكر، ويجب أن تقف الأمةُ كلُّها في وجه الباطل، وفي وجه الأكاذيب والتُّرَّهات والشائعات التي تفسد الإسلام والمسلمين.

الإسلام ما يكون مع الكذَّابين!! والله ما قام ولا يقوم إلا علىٰ الصادقين.

والكذب في الأساس ليس من أخلاق المسلمين أبدًا!! الكذب من أخلاق اليهود، ومن أخلاق النصارىٰ، ومن

---

(1) (التوبة: ١١٩).

أخلاق المنافقين، ومن أخلاق الوثنيين. أما المؤمنون فليس والله الكذب لهم بخُلُق! ولا هو من أخلاقهم، هذا الكذب منابعه الكفر والنفاق والشرك وعقول الوثنيين ومن قلدهم وتابعهم مع الأسف الشديد! «**لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَن كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ؛ حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوه**»[1]. الطرق التي يسلكها اليهود والنصارىٰ والشيوعيون والملاحدة البعثيون يقلِّدهم فيها كثير من الأحزاب التي تنتمي إلىٰ الإسلام، وينافسونهم في هذه الميادين ويسبقونهم، وفيهم المصلِّي والمجلِّي[2] كما يقال في

---

(1) رواه البخاري: برقم (٧٣٢٠)، ومسلم: برقم (٢٦٦٩)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(2) قال أَبو عبيد: ولم أَسمع في سوابق الخيل ممن يُوثَقُ بعلمه اسمًا لشيء منها إِلاَّ الثانيَ والعاشِرَ؛ فإِن الثانيَ اسمه المُصَلِّي والعاشرَ السُّكَيْتُ، وما سوىٰ ذَيْنِكَ إِنما يقال: الثالثُ والرابعُ وكذلك إِلىٰ التاسع. وقال ابن الأَنباري: أَسماءُ السُّبَّقِ من الخيل المُجَلِّي والمُصَلِّي والمُسَلِّي والتالي والحَظِيُّ والمُؤَمِّلُ والمُرْتاحُ والعاطِفُ واللَّطِيمُ والسُّكَيْتُ، قال أَبو منصور: ولم أَحفظها عن ثقة، وقد ذكرها ابن الأَنباري ولم ينسبها إِلىٰ =

هذه الميادين وفي هذه الحلبة؛ حلبة السباق في الكذب والأكاذيب والشائعات!

ألا يجب علينا أن نُطَهِّر عقولنا وألسِنتنا وأدمغتنا من أنجاس وأقذار الأكاذيب؟ أين المبادئ الأصيلة التي وضعها الإسلام لغربلة الأخبار والكلام؟ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦]؛ يعني المؤمن قد يندم في هذه الحياة، لكن كثير من الناس الآن ما يندم -مع الأسف!-، يصيبون قومًا بجهالة وضلالة ولا يندم، ولا يؤنِّبه ضميره، ولكن هناك يوم اللقاء يوم ينفع الصادقين صدقهم وسيلقىٰ جزاءه وسيندم أشد الندم! «كَفَىٰ بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»(١)،

= أحد، قال: فلا أَدري أَحَفِظَها لِثِقةٍ أَم لا؟. لسان العرب لابن منظور (٢/ ١٢٤).

(١) رواه مسلم في مقدمة صحيحه (١/ ٧٢- بشرح النووي) برقم (٥)، لكن قال: «كذبًا» بدل: « إثمًا» فإن هذا لفظ أبي داود في سننه برقم (٤٩٩٢).

ويقول عمر[1] وابن مسعود[2] رضي الله عنهما ولعلهما أخذا قولَهما من هذا الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه الحديث: «**كَفَىٰ بِالمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِع**»، يذهب يُرَدِّد الكذب؛ كما قال الله: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [النور: ١٥].

لا تتحدث يا أخي إلا عن علم، افحص الأخبار؛ أنت مؤمن؟ وتدِّعي الإيمان وهذا حالك؟ أسوء من أحوال الكفار! يمكن الكفار قد يتبصَّرون ويتريثون!! ولكن نحن نتخطف الأخبار هكذا، ونفرح بها، وننشر الأكاذيب والتُّرَّهات والأساطير؛ التي تصد الناس عن الحق والصدق، وعن دين الله الحق، فيُسَبِّبُون للإسلام والمسلمين كوارث لا يعلم فداحتها إلا الله، ولا يدرك طرفًا منها إلا من يرصد هذه الأمور غيرةً علىٰ الإسلام، وحزنًا وقلقًا علىٰ هذه الأمة المسكينة؛ التي يقودها دعاة علىٰ أبواب جهنم من أجابهم

---

(1) رواه مسلم في مقدمة صحيحه برقم (٦).

(2) رواه مسلم في مقدمة صحيحه برقم (٨).

إليها قذفوه في النار[1]، وأيُّ خزي وأيُّ عار أخزىٰ من الكذب الذي يَأنَفُ منه كثير من الكفار.

الكذب ساد والله كما قلت؛ إن أناسًا وأحزابًا وجماعات تنتمي إلىٰ الإسلام يسبقون الكفار في الكذب، وفي تلقِّي الأكاذيب والشائعات التي تمجُّها النفوس الأبيَّة الشريفة، وترفضها العقول النزيهة السليمة.

الكذب يا إخوة لا ينبع إلا من منابع الكفر: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥] هم الكاذبون الذين يحقُّ أن يُسَمُّوا بالكذب، ويوصفوا بهذه الصفة الرذيلة، ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ﴾ حصر الكذب فيهم، هذه الصفة الذميمة

---

(١) قال النبيُّ ﷺ في وصفهم: «قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا»، كما في حديث حذيفة رضي الله عنه عند البخاري برقم (٧٠٨٤)، ومسلم برقم (١٨٤٧).

صفتهم المتمكنة من نفوسهم مع الأسف الشديد!

الرسول -عليه الصلاة والسلام- يقول: «**عَلاَمَةُ المنَافِقِ ثَلاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤتمِنَ خَانَ**»[1]. وفي رواية عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما زيادة: «**إِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَر**»[2]، هذه الصفات تتوفر كثيرًا في أفرادٍ وفي جماعات تنتمي إلىٰ الإسلام، وتزعم أنها ترفع راية الإسلام؛ حديث كذب! وُعُودٌ كاذبة! خيانات في الدين قبل الدنيا مع الأسف! يأتمنك علىٰ ابنه تعلِّمه الإسلام فتعلِّمه الفجور؛ تعلِّمه الكذب! تجنِّده للشائعات الكاذبة!

واأسفاه علىٰ جماعات يتربَّىٰ أبناؤها علىٰ هذه الأخلاق!! أما من يحمل الشائعات ويشيع الكذب السمَّاعون للكذب الأكَّالون للسحت فهم المنافقون والعياذ بالله! المسلمون أبرياء نزهاء من هذه الصفات الرذيلة:

---

(1) أخرجه البخاري برقم (٣٣)، ومسلم برقم (٥٩)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(2) رواه البخاري برقم (٣٤)، ومسلم برقم (٥٨).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ﴾ يعني: اليهود، هناك المنافقون وهنا اليهود ﴿سَمَّٰعُونَ﴾ كلهم صنفان ﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَ﴾ [المائدة: ٤١].

كيف تسمع الكذب يا أخي وتردده مثل المنافقين ومثل اليهود؟ بدون تصفية ولا غربلة، ولا تثبت، ولا إحساس بأن الله -تبارك وتعالىٰ- يعلم أنك كذاب! «**كَفَىٰ بِالمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِع**»، كذاب أنت! أنت مشارك في هذه الجريمة! أنت متعاون علىٰ الإثم والعدوان! أنت تجرَّدت من أهم أخلاق الإسلام وهو الصدق والتثبت واحترام أعراض المسلمين! «**إِنَّ دِمَاءَكُم وَأَمْوَالَكُم وَأَعْرَاضَكُم حَرَامٌ عَلَيكُم كَحُرْمَةِ يَوْمِكُم هَذَا، فِي بَلَدِكُم هَذَا، فِي شَهْرِكُم هَذَا**»[1] أربىٰ الربا عرض الرجل

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣١٩٧)، ومسلم برقم (١٦٧٩)، من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

المسلم[1] أربىٰ الربا! تتظاهر بمحاربة الربا وأنت تستبيح أخزىٰ وأنجس وأقذر أنواع الربا؟ استباحة الأعراض البريئة النزيهة تستبيحها! أيُّ ربا أخبث وأقذر من هذا الربا؟!

ويقول الرسول الكريم -عليه الصلاة والسلام-: «**مَنْ قَالَ فِي مُسْلِمٍ مَا لَيْسَ فِيه حَبَسَهُ اللهُ فِي رَدْغَةِ الخَبَال**»[2]؛ **ردغة الخبال**: عصارة أهل النار؛ لأنه نجس قذر، فيحبس في أقذر

---

(1) أخرجه أحمد (١/ ١٩٠)، وأبو داود برقم (٤٨٧٦)، من حديث سعيد ابن زيد رضي الله عنهما.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٧٤): «رواه أحمد والبزار، ورجال أحمد رجال الصحيح غير نوفل ابن مساحق وهو ثقة».

(2) أخرجه أحمد (٢/ ٧٠)، وأبو داود برقم (٣٥٩٧)، والحاكم (٢/ ٣٢، برقم ٢٢٢٢)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وتمامه: «**حَتَّىٰ يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ**».

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

ورواه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٣٨٨، برقم ١٣٤٣٥) وفي الأوسط (٦/ ٣٠٩، برقم ٦٤٩١). وزاد: (وَلَيْسَ بِخَارِجٍ).

أنواع العذاب وأنجسها؛ الجزاء من جنس العمل، والكذَّاب قذر نجس، قذر نجس فيستحق الجزاء؛ يقول في المؤمن ما ليس فيه، يفتري عليه، يأفك عليه، هذا جزاؤه حتىٰ يخرج من مقاله! الله أكبر! «**مَنْ قَالَ فِي امْرِئٍ مَا لَيْسَ فِيه حَبَسَهُ اللهُ**» وفي لفظ: «**أَسْكَنَهُ الله فِي رَدْغَةِ الخَبَال**»[1]؛ عصارة أهل النار من المجوس واليهود والنصارىٰ بالنار، غاية القذارة والنتن - والعياذ بالله- يحبس فيها! يمكن أخس من عذاب اليهود والنصارىٰ في النار.

فعلينا أيها الشباب المسلم أن ندرك أهمية الصدق، وما يترتب عليه من آثار عظيمة في الدنيا والآخرة، وعلينا أن ندرك خطورة الكذب والأكاذيب والشائعات، وما يترتب عليها من عواقب وخيمة، ودمار للأمة، ودمار للأخلاق، وجزاء الكاذبين كما سمعتم في الآخرة.

أذكر حديثًا كاد يفوتني في آثار الكذب واضحة جليَّة؛ ألا

---

(1) عند أحمد وأبي داود. واللفظ الأول للطبراني وللحاكم نحوه.

وهو حديث كعب بن مالك وأخواه اللذان خلفا معه، تخلفا عن غزوة تبوك، فقصَّ كعب بن مالك رضي الله عنه هذه القصة في حديث طويل أذكر منها ما يحضرني، ولعل الله ينفعنا بما نسمع من هذه القصة العظيمة[1]:

ذكر كعب بن مالك قصة تخلُّفه وأنه تخلَّف بدون عذر أبدًا! وذكر القصة وأطال فيها إلىٰ أن وصل إلىٰ قوله في الحديث: «وَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَوَجَّهَ قَافِلًا مِنْ تَبُوكٍ، حَضَرَنِي بَثِّي، وَطَفِقْتُ أَتَذَكَّرُ الْكَذِبَ، وَأَقُولُ: بِمَ سَأَنْجُو غَدًا مِنْ سَخَطِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ وَأَسْتَعِينُ عَلَىٰ ذَلِكَ بِكُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ قَوْمِي. فَلَمَّا عَرَفْتُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ أَظَلَّ قَادِمًا» أي: علمنا قدومه «زَاحَ عَنِّي الْبَاطِلُ وَعَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَنْجُوَ مِنْهُ بِشَيْءٍ أَبَدًا» يعني: من الأباطيل والأكاذيب أبدًا! «فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ» يعني: عزمت وصممت علىٰ أن أقول الصدق.

---

(1) رواها البخاري برقم (٤٤١٨)، ومسلم برقم (٢٧٦٩).

قال: «فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَادِمًا، وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ؛ فَجَاءَهُ الْمُعَذِّرُونَ يَعْتَذِرُونَ وَيَحْلِفُونَ فَقَبِلَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ مِنْهُمْ عَلانِيَتَهُمْ وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَكَانُوا بِضْعًا وَثَمَانِينَ رَجُلًا».

قال: «فَجِئْتُ فَلَمَّا رَآنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ، ثُمَّ قَالَ: تَعَالْ، فَمَشَيْتُ حَتَّىٰ جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: **مَا خَلَّفَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ قَدِ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ؟**» أي: قد أعددت الراحلة وجهَّزت نفسك للجهاد في سبيل الله! قال: «وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ! لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ أَحَد مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، لَرَأَيْتُ أَنِّي سَأَخْرُجُ مِنْهُ بِعُذْرٍ؛ لَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا وَلَكِنِّي وَاللهِ! لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّنِي إِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَىٰ بِهِ عَنِّي؛ لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ» أي: تغضب علي فيه «إِنِّي لأَرْجُو فِيهِ عُقْبَىٰ اللهِ وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ! مَا لِي مِنْ عُذْرٍ! مَا كُنْتُ فِي غَزَاةٍ قَطُّ أَقْوَىٰ ولا أَيْسَرَ مِنِّي فِي هَذِهِ الْغَزَاةِ» ما عندي عذر أبدًا! كنت قويَّ الجسم، كنت

ميسور الحال، ما عندي أي عذر أبدًا! صدق! قال رسول الله ﷺ: «**أَمَّا هَذَا؛ فَقَدْ صَدَقَ. فَاذْهَبْ حَتَّىٰ يَقْضِيَ اللهُ فِيكَ مَا يَشَاءُ**».

قَالَ: وَتَبِعَنِي نَفَرٌ مِنْ قَوْمِي بَنِي سَلِمَةَ فَقَالُوا لِي: وَاللهِ! مَا عَلِمْنَاكَ أَذْنَبْتَ قَبْلَ هَذَا، لَقَدْ عَجَزْتَ أَنْ تَعْتَذِرَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَمَا اعْتَذَرَ الْمَخَلَّفُونَ فَقَدْ كَانَ كَافِيكَ ذَنْبَكَ اسْتِغْفَارُ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: فَمَا زَالُوا يُؤَنِّبُونَنِي حَتَّىٰ هَمَمْتُ أَنْ أَرْجِعَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي ثُمَّ سَأَلْتُهُمْ هَلْ لَقِيَ هَذَا أَحَدٌ غَيْرِي؟ قَالُوا: نَعَمْ؛ لَقِيَهُ رَجُلانِ غَيْرُكَ، قُلْتُ: مَنْ هُمَا؟ قَالُوا: مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الْعَامِرِيُّ، وَهِلالُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِيُّ. قَالَ: فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ شَهِدَا بَدْرًا أَرَىٰ أَنَّهُمَا أُسْوَةٌ، فَمَضَيْتُ» يعني: مضىٰ علىٰ رأيه وأنه لا يكذِّب نفسه، ثم ذهب يقصُّ قصَّته رضي الله عنه وكيف أن الرسول ﷺ أمر بهجرانهم، وهجرهم الناس أربعين يومًا، ولما جاءت تتمة الأربعين أرسل رسول الله ﷺ إليهم أن يعتزلوا أزواجهم، ثم قصَّ هذه القصة تمام خمسين يومًا.

قَالَ: «ثُمَّ صَلَّيْتُ صَلاةَ الْفَجْرِ صَبَاحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً عَلَىٰ ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا، فَبَيْنَا أنا جَالِسٌ عَلَىٰ الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللهُ ﷻ مِنَّا قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي، وَضَاقَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَىٰ عَلَىٰ سَلْعٍ يَقُولُ بِأَعْلَىٰ صَوْتِهِ: يَا كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ أَبْشِرْ! قَالَ: فَخَرَرْتُ سَاجِدًا، وَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ، قَالَ: فَآذَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّاسَ بِتَوْبَةِ اللهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّىٰ صَلاةَ الْفَجْرِ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا، فَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ، وَرَكَضَ رَجُلٌ إِلَيَّ فَرَسًا، وَسَعَىٰ سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ قِبَلِي وَأَوْفَىٰ الْجَبَلَ، فَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي، فَنَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ فَكَسَوْتُهُمَا إِيَّاهُ بِبِشَارَتِهِ، وَاللهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ، وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا، فَانْطَلَقْتُ أَتَأَمَّمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا يُهَنِّئُونِي بِالتَّوْبَةِ، وَيَقُولُونَ: لِتَهْنِئْكَ تَوْبَةُ اللهِ عَلَيْكَ، حَتَّىٰ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَحَوْلَهُ النَّاسُ فَقَامَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ يُهَرْوِلُ حَتَّىٰ صَافَحَنِي وَهَنَّأَنِي، وَاللهِ مَا

قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ. قَالَ: فَكَانَ كَعْبٌ لا يَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ».

انظروا! لما أمر رسول الله بهجرانهم أطاعوا الرسول ﷺ فهجروهم، وكان كعب يذهب إلىٰ السوق، ويذهب إلىٰ المسجد، لا أحد يكلمه أبدًا! وتنكَّر له كل شيء، وتنكَّرت له الأرض، وذهب إلىٰ ابن عمه أبي قتادة وكان أحبَّ الناس إليه، فقال: أَنْشُدُكَ اللهَ يَا أَبَا قَتَادَةَ! أَتَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ؟ سَكَتَ، أَنْشُدُكَ اللهَ...؟ أَنْشُدُكَ اللهَ ..؟ سَكَتَ! ثُمَّ قَالَ: اللهُ أَعْلَمُ! لما أنشده المرة الثالثة قال: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ! فَبَكَىٰ كَعْبٌ وذهب، فلما جاءت البشرىٰ وإذا بالمدينة كلها تتهلل فرحًا، وتعتبر هذا كيوم عيد لطهارة قلوبهم وطاعتهم لرسول الله -عليه الصلاة والسلام-.

ثم قال كعب: «فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ وَيَقُولُ: **أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ!** قَالَ: فَقُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ؟ فَقَالَ: **لا، بَلْ من عِنْدِ اللهِ**، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا سُرَّ

اسْتَنَارَ وَجْهُهُ كَأَنَّ وَجْهَهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، قَالَ: وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ.

قَالَ: فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَىٰ اللهِ وَإِلَىٰ رَسُولِهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **أَمْسِكْ بَعْضَ مَالِكَ؛ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**، قَالَ: فَقُلْتُ: فَإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِيَ الَّذِي بِخَيْبَرَ.

قَالَ: وَقُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ إِنَّ اللهَ إِنَّمَا أَنْجَانِي بِالصِّدْقِ، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لا أُحَدِّثَ إِلا صِدْقًا مَا بَقِيتُ، قَالَ: فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ أَنَّ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَبْلاهُ اللهُ فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَىٰ يَوْمِي هَذَا أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلانِي اللهُ بِهِ، وَاللهِ مَا تَعَمَّدْتُ كَذِبَةً مُنْذُ قُلْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَىٰ يَوْمِي هَذَا، وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللهُ فِيمَا بَقِيَ. قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾ حتىٰ بَلَغَ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾.

قَالَ كَعْبٌ: وَاللهِ مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ إِذْ هَدَانِي اللهُ لِلإِسْلامِ أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ لا أَكُونَ كَذَبْتُهُ، فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا؛ إِنَّ اللهَ قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا حِينَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ شَرَّ مَا قَالَ لأَحَدٍ، وَقَالَ اللهُ: ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾. قَالَ كَعْبٌ: كُنَّا خُلِّفْنَا أَيُّهَا الثَّلاثَةُ عَنْ أَمْرِ أُولَئِكَ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ حَلَفُوا لَهُ فَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ وَأَرْجَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَمْرَنَا حَتَّىٰ قَضَىٰ اللهُ فِيهِ، فَبِذَلِكَ قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾، وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ مِمَّا خُلِّفْنَا تَخَلُّفَنَا عَنِ الْغَزْوِ، وَإِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُ».

انظر! أولئك المعذِّرون بايعهم رسول الله ﷺ، صدَّقهم

ووكل سرائرهم إلىٰ الله، واستغفر لهم، ما نفعهم هذا لكذبهم علىٰ رسول الله ﷺ، ما ينفعهم وهذا ينفعه صدقه! الله أكبر! يعني لا ينفع الإنسان إلا أن يزكِّي نفسه، قرابة الرسول، دعاء الرسول ما تنفع أبا طالب، ولا ينفع المشركين هؤلاء ما نفعهم دعاء الرسول ولا استغفاره والله! ما قال له؟ قال: «**وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ اللهَ مَا أَنْجَانِي إِلا بِالصِّدْقِ، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَلا أَحَدِّثَ إِلا صِدْقًا مَا بَقِيتُ**» من توبته كيف؟

نجح بالصدق، تاب عليه الله بالصدق، إذن من توبته شكرًا لله، ووفاءً بهذه النعمة أن يلتزم الصدق ما بقي «أَلا أَحَدِّثَ إِلا صِدْقًا». قال: «وَاللهِ مَا تَعَمَّدْتُ كَذْبَةً مُنْذُ وَعَدْتُ بِذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، ولا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَبْلاهُ اللهِ فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلانِي» يعني فاقني في هذه الخصلة، ما أحد من أصحاب الرسول -وفيهم أبو بكر- أبلاه الله في صدق الحديث مثل ما أبلاني «مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ وَأَرجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللهُ فِيمَا بَقِيَ».

ثم قال بعد ذلك وهو يتحدث عن ميزة الصدق ونتيجة

الكذب وقال: «وَاللهِ مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ نِعْمَةً قَطُّ بَعْدَ الإِسْلامِ أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي رَسُولِ اللهِ ﷺ» ما فيه نعمة بعد الإسلام يراها مَنَّ الله بها عليه من أن وفَّقه لأن يَصْدُق رسول الله ﷺ؛ أراد الله به خيرًا، وأراد له السعادة أن وفَّقه للصدق، وخذل أولئك الكذَّابين الذين خادعوا رسول الله ﷺ، وخادعوا المؤمنين بالأيمان الكاذبة، فما وسع الرسول وأصحابه إلا أن يسلِّموا لهم، ولكن الله من ورائهم محيط لا يتركهم! قال: «وَاللهِ مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ إِذْ هَدَانِي الله لِلإِسْلامِ أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ لا أَكُونَ كَذَبْتُهُ، فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا؛ لَقَدْ قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعالَىٰ فِيهِمْ فِيمَا أَنْزَلَ مِنَ الْوَحْيِ شَرَّ مَا قَالَهُ لأَحَدٍ، قَالَ اللهُ -تبارك وتعالىٰ-: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة: ٩٥] رجس!! ﴿رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ من الكذب! من الكذب! وقد يكون هؤلاء حال كذبهم من

المسلمين، لكن أهلكهم الله بالكذب، وكانت هذه عاقبة الكذب: ﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٩٦]، كما قال: «قَالَ اللهُ فِيهِمْ شَرَّ مَا قَالَ لأَحَدٍ»، وقال فيهم ما سمعتم من هذه الآيات.

وهناك في سورة التوبة: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [سورة التوبة: ٧٥-٧٦]، كيف واعدوا أنهم إن أعطاهم الله المال ليتصدَّقون، فلما أعطاهم الله بخلوا؛ كذبوا! ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ [التوبة: ٧٧]، كانوا مسلمين فجاءهم النفاق بسبب الكذب، ولهذا بيَّن الرسول ﷺ أن آية المنافق ثلاث -وذكر أربعًا أيضًا- ومن كن فيه كان منافقًا خالصًا[1].

---

(1) سبق تخريجهما.

فعلينا معشر الشباب، معشر المسلمين؛ علينا والله بالصدق، علينا بالصدق فيما نقدِّمه للناس من علم، فيما نكتب، فيما ننشر، فيما نحاضر، فيما نقول في المجالس، في أيِّ مكان، ونغرس في نفوس الشباب حبَّ الصدق، واحترام الصدق، وإدراك عواقبه العظيمة ومنافعه العظيمة التي تعود علىٰ الأفراد والمجتمعات والأمة بكل ما يسعدها، ويصلحها، ويكسبها النصر والعزة في الدنيا والآخرة، وعواقب الكذب.

أهل البدع كلهم يكذبون ويلبِّسون[1]، دمَّروا الأمة بأكاذيبهم، افتروا علىٰ الله -تبارك وتعالىٰ- في تحريف

---

(1) قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في درء تعارض العقل والنقل (٣/ ١٠٢): «ولكن أهل البدع أصل كلامهم الكذب: إما عمدًا وإما بطريق الابتداع؛ ولهذا يقرن الله بين الكذب والشرك في غير موضع من كتابه؛ كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٢]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾ [الحج: ٣٠- ٣١]».

القرآن، فحرَّفوا آيات التوحيد، حرَّفوا آيات الصفات، حرَّفوا في الحلال والحرام وإلىٰ آخره، فأطبَقَ الفساد علىٰ الأمة، إلا من أنقذه الله من أيديهم، وركعت الأمة أمام أعداء الإسلام، وسقطوا تحت براثن اليهود والنصارىٰ والوثنيين، لماذا؟

أنا كنت مرَّات أقول: ما قاله الرسول ﷺ: «**إِنَّ المَدِينَةَ قَرْيَةٌ تَأْكُلُ القُرَىٰ**»[1] مسجدُها كان يعادل جزءًا واحدًا من خمسين أو أكثر من مسجد الرسول الحالي، يكتظ مسجد الرسول ﷺ بالمسلمين من مشارق الأرض ومغاربها، والذين فتحوا الدنيا جزءٌ واحد من خمسين جزءًا من هذا المسجد كيف! ما السبب؟!

كانوا أهل صدق، أهل إخلاص، أهل إيمان، أهل تطبيق الإسلام، كثُرت البدع وتفشت، وكثر الكذب، فأصبح كثير من المسلمين غثاءً كما وصفهم رسول الله كغثاء السيل[2]

---

(1) أخرجه البخاري برقم (١٨٧١)، ومسلم برقم (١٣٨٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(2) أخرجه أحمد (٥/ ٢٧٨)، وأبو داود برقم (٤٢٩٧)، وابن أبي عاصم =

لا قيمة لهم، ولا وزن لهم عند الله، ولا عند أعداء الله.

فيجب أن نخرج وقد مارسنا التجارب قرونًا طويلة من البدع التي هي من آثار الكذب والتزييف والتلبيس؛ فلو استخدمنا عقولنا ودرسنا واقعنا وتاريخ الصحابة ومن تلاهم لماذا سادوا؟ وبماذا أعزَّهم الله وأكرمهم؟ ودرسنا أسباب انحطاطنا وتخلَّصنا منها بالصدق والنصح والأخلاق العالية، لا بزيف المبتدعين، ولا بتضليل الأفَّاكين.

يجب أن نبحث عن الصدق وعن الحق أينما كُنَّا، وأن نَشُدَّ الرحال من أجله، السلف كانوا يرحلون إلىٰ الصادقين، ولا يرحلون إلىٰ الكذَّابين، والله لو كان الكذاب بجوار بيته لا يرحل له! يرحل مئات المراحل من مشارق الأرض ومغاربها ليتلقَّىٰ الصدق من الصادقين، ويتلقَّىٰ الحق من

= في الزهد (ص١٣٤، برقم ٢٦٨ و٢٦٩ و٢٧٠)، وابن أبي الدنيا في «العقوبات» برقم (٥)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٨٢) وغيرهم، من حديث ثوبان رضي الله عنه.

أهله، ولا يُعَرِّجُون إلىٰ الكذَّابين.

وقد بحث أهل الحديث في الكذَّابين، وجعلوهم في أسفل الطبقات، ولا يقبلون لهم قولًا أبدًا[1].

وعَقَدَ ابنُ عديٍّ في الكامل تسعة وعشرين بابًا للكذَّابين[2].

وذكر الجوزجاني في كتاب الشجرة أصناف أهل البدع، ثم قال: «**ومنهم أناس ما عرفت عنهم بدعة، ولكن أعرف**

---

(1) قال الإمام عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ: «من عقوبة الكذَّاب أن يرد عليه صدقه». رواه الخطيب في الكفاية (ص١١٧).

وقال الإمام أبو بكر الحميدي صاحب الشافعي -رحمهما الله-: «فإن قال قائل: فما الذي لا يقبل به حديث الرجل أبدًا؟

قلت: هو أن يحدِّث عن رجل أنه سمعه ولم يدركه، أو عن رجل أدركه، ثم وجد عليه أنه لم يسمع منه، أو بأمر يبين عليه في ذلك كذب؛ فلا يجوز حديثه أبدًا؛ لما أدرك عليه من الكذب فيما حدث به». رواه الخطيب في الكفاية (ص١١٨).

(2) انظر: الكامل في ضعفاء الرجال (١/ ٣-٤٤).

عنهم الكذب، وكفىٰ بالكذب بدعة!»[1].

والله يا إخوة ما تجد هذه الغربلة إلا إذا درست في مدرسة أهل الحديث، ادرس؛ ادرس كتب المصطلح، ادرس كتب الجرح والتعديل؛ لتعرف الجهود الطائلة التي بذلها هؤلاء لحفظ هذا الدين، لحفظ سنة رسول الله ﷺ، وقد يكون المرء عابدًا ولكن يسبق الكذب إلىٰ لسانه من حيث لا يدري فلا يلتفتون إليه، وقد يتعمَّد الكذب؛ فهذا في حضيض الحضيض. فعلينا أيُّها الإخوة بالأخلاق الإسلامية العالية التي يأتي في طليعتها الصدق، لنزكوَ عند الله، نُزكِّي هذه النفوس، نُزَكِّي هذه المجتمعات بالحكمة والكتاب اللذين جاء بهما محمد ﷺ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾

[سورة الجمعة: ٢-٤].

---

(١) الشجرة في معرفة أحوال الرجال (ص٣٢).

أسأل الله -تبارك وتعالىٰ- أن يجعلنا في عِدَادِ هؤلاء الصادقين من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا؛ ذلك الفضل من الله وكفىٰ بالله عليمًا، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

قام الشيخ حفظه الله مشكورا بمراجعة التفريغ

في شهر ذي القعدة لسنة ١٤٣٠هـ

اعتنىٰ بهذه المادة

دار الميراث النبوي للنشر والتوزيع بالجزائر

* * *

الفهرس

مقدمة ٣
الصدق قامت عليه الرسالات كلها ٤
الدين ما قام إلا على كواهل الصادقين ٥
وصف الله ﷻ نفسه بالصدق ٧
وصف الله ﷻ الأنبياء بالصدق ٨
وصف الله ﷻ المؤمنين بالصدق ١٠
أصدق الناس هم أصحاب محمد ١٥
وعد الله الصادقين وعودًا عظيمة ٢١
الكذب في الأساس ليس من أخلاق المسلمين ٢٤
يجب أن نتطهر من أنجاس الأكاذيب ٢٦
لا تتحدث إلا عن علم ٢٧
الكذب لا ينبع إلا من منابع الكفر ٢٨
قصة كعب بن مالك ونجاته وأخويه بالصدق ٣٢
أهل البدع كلهم يكذبون ويلبسون ٤٣
يجب أن نبحث عن الصدق أينما كان ٤٥
الفهرس ٤٨

* * *

This document was created with Win2PDF available at http://www.win2pdf.com.
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.
This page will not be added after purchasing Win2PDF.